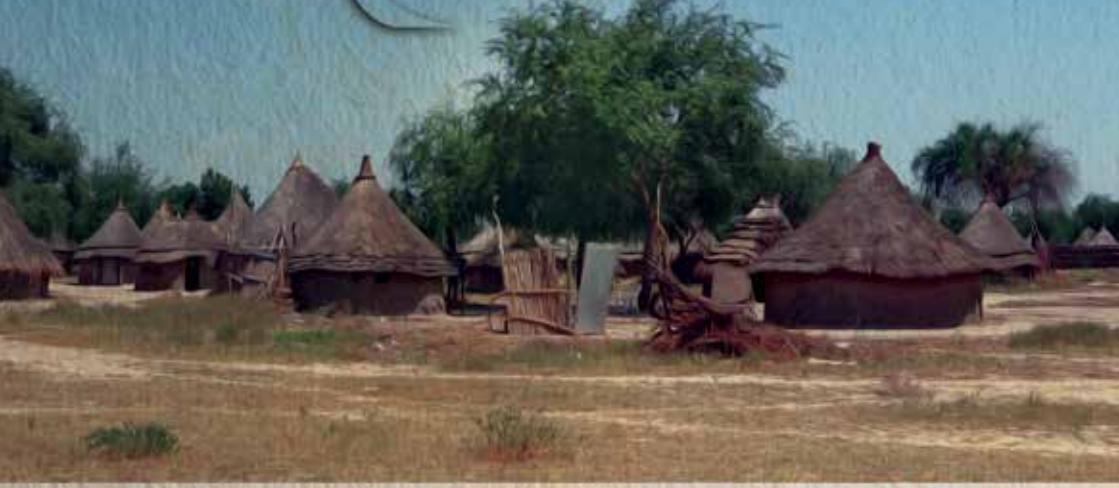


عمرى الأدب العربى
1929 - 2009

الطباطبائي صالح



الطباطبائي.. نشأة أرضعه قيم القرية

ولد الطبيب محمد صالح أحمد عام 1929 في قرية كرمكول. وهي إحدى قرى قبيلة الركابية المعروفة بمركز مروي التابع لإحدى مديريات شمال السودان. حيث أمضى طفولته وتلقى تعليمه الأول. وقد حرص الطبيب صالح على حمل قيم تلك القرية ومواصفاتها إلى الخرطوم، ثم إلى أوروبا. وحافظ عليها حتى مماته. انتقل صالح بعد ذلك إلى بورتسودان شرقى السودان، حيث درس المرحلة الوسطى. ثم حل بالخرطوم آخر أربعينيات القرن الماضي. فدرس المرحلة الثانوية بمدرسة وادى سيدنا. ثم بمدينة حنثوب قرب مدينة ود مدني. ثم التحق بجامعة الخرطوم لدراسة العلوم الطبيعية فحصل على درجة البكالوريوس. ثم عمل مدرساً في مدرسة الشيخ رضا وفي «بخت الرضا» شمال الخرطوم.

الجالب

المigration إلى لندن وإلى الشؤون الدولية

هاجر صالح إلى لندن عام 1953 حاملا معه القيم القروية التي يشهد المقربون منه أنه لم يتخل عنها في جميع مراحل حياته. لكن هجرته هذه لم تكن فقط تحولاً من السودان إلى لندن. بل كانت أيضاً تحولاً من العلوم الطبيعية إلى «الشؤون الدولية». حيث عمل في القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية BBC وترقى لاحقاً ليصبح رئيساً لقسم الدراما.

عندما وصل إلى لندن في شتاء عام 1953 ولسعه بردها وأحس بزمهيرر داخلي. قال في نفسه: «ثري ما الذي وطنني بهذه الورطة؟». سكن في بداية مقامه غرب لندن في منطقة كوبينزوي، فقد اعتاد السودانيون السكن فيها. وفي منطقة بادنجتون أيضاً، وكان السودانيون يلتقطون كثيراً في مطعم يسمى «لاهور». ويبدو أنه أحس مع بداية إقامته في لندن بوحشة. حيث طبيعة الحياة مختلفة عن تلك التي اعتاد عليها في السودان. فعلى حد قوله: «جاكر في مدينة مثل لندن لا يهمه أمرك، جائز جداً وأنت خارج في الصباح وتقول له «صباح الخير» لا يجيئك».



اما رواية دسها

الطيب الصالح
عشرينة رواية جديدة
قلم رجاء النقاش

رجاء النقاش ..

نقطة الانطلاق إلى عالم الشهرة

العديد من القواسم المشتركة جمعت بين الطيب صالح والأديب العالمي نجيب محفوظ، لكن أكثرها صدفة الاكتشاف، فكما قادت المصادفة سيد قطب لاكتشاف نجيب محفوظ، قادت الأديب المصري الكبير رجا، النقاش لاكتشاف الطيب صالح، وذلك عندما كتب أول مقال في التعريف برواية «موسم الهجرة إلى الشمال» ونشره بمجلة المصور المصرية سنة 1966، وذلك قبل أن تنشر الرواية في كتاب. وكانت الرواية قد نشرت كاملاً بالعدد الأول من «مجلة «جبل» لاصحاجها تمكيناً صارخ الشاعر الفلسطيني - مصطفى الطيب صالح

وقد كتب رجاء النقاش هذا المقال بنزاهة وتجدد. فحين خطه لم يكن قد سمع باسم الطيب صالح من قبل. ولم يكن قد قرأ له سوى هذه الرواية. وهو الأمر الذي ينفي شبّهة المجازة أو القصد. ويؤكد أن رجاء النقاش كتب هذا المقال بتجدد تام.

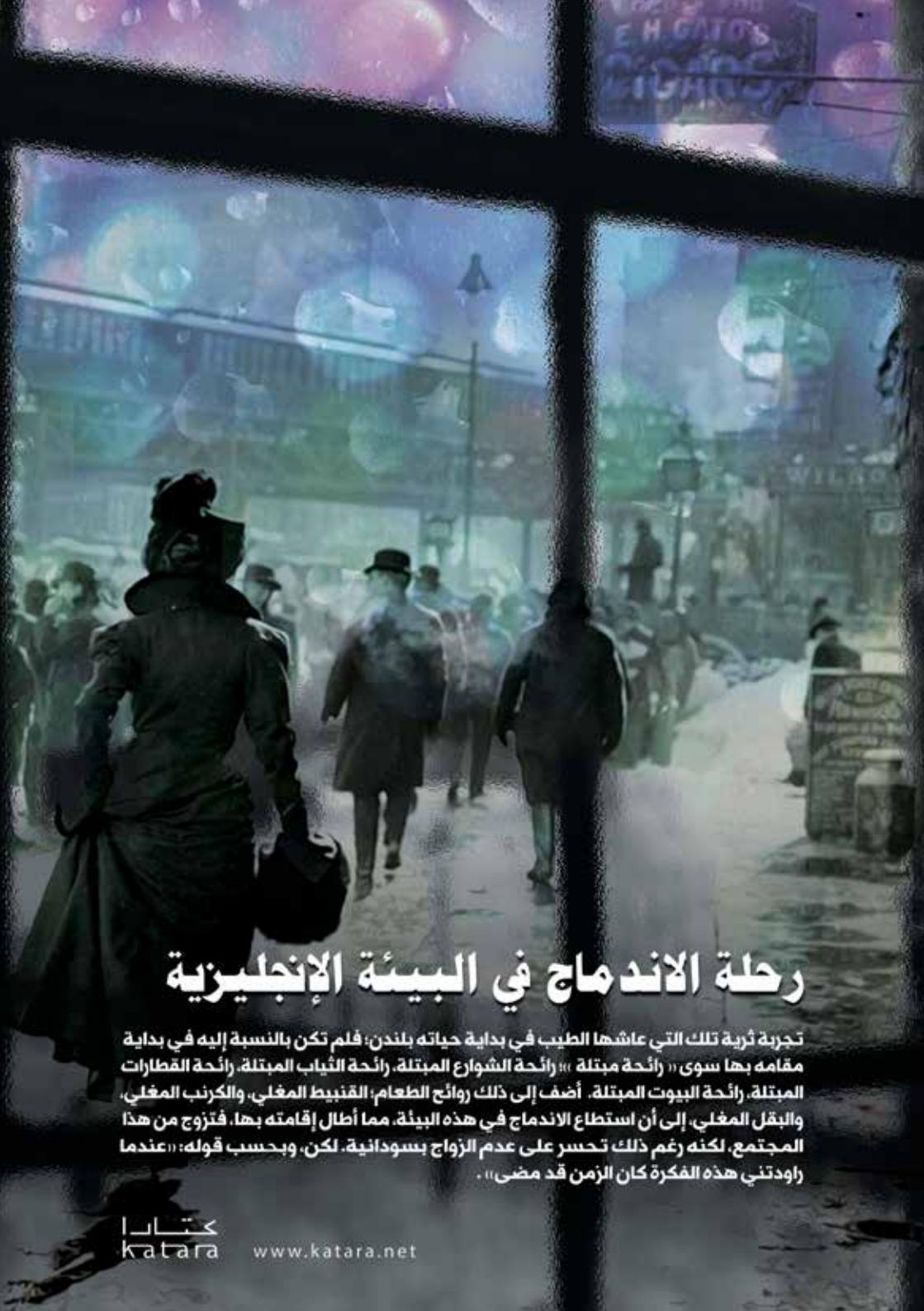
ندوة الحرافيش



الطيب ومحفوظ لقاء العمالقة

كان الطيب صالح دائم الإعجاب بشخصية الأديب العالمي نجيب محفوظ. على الرغم من أنه لم يلتقيه غير مرة واحدة، وكان ذلك في القاهرة أوائل السنتينيات من القرن الماضي، في ندوة «الحرافيش» الشهيرـة، حيث كان اجتماعاً مساعـة كل خمـيس، في حضور صلاح جاهـين وأحمد مظـهر ومجمـوعة من الكـتاب والمـبدعين.

يقول الطيب صالح عن ذلك اللقاء الذي تم في وقت لم يكن قد اشتهر فيه كاتبـاً، حيث كان يعمل بـهيئة الإذاعة البريطانية: «أردت أن أستفـرـز الأـسـتـاذـ نـجـيبـ لـلـكـلامـ، وـكـنـتـ قـرـأتـ لـتـويـ روـايـتـهـ لـلـلـصـ وـالـكـلـابـ». قـلـتـ لـهـ: «إـنـنـيـ أـعـجـبـ بـهـاـ، وـلـمـ يـدـ عـلـيـهـ أـهـتمـ كـثـيرـاـ لـقـوـلـيـ». كـمـاـ ظـلـنـتـ فـقـلـتـ لـهـ: «إـنـهـ دـكـرـتـنـيـ بـمـسـرـحـةـ هـاـمـلـتـ لـشـكـسـپـيرـ، فـأـجـابـنـيـ فـوـرـاـ بـشـيـ»، مـنـ الدـرـمـ، وـكـأـنـهـ اـسـتـيقـطـ مـنـ غـيـوبـةـ: «إـرـأـيـ يـقـىـ؟ دـيـ كـلـهاـ أـكـشـنـ». هـاـمـلـتـ مـاـ فـيـهـاـشـ أـكـشـنـ خـالـصـ». كان الطـيـبـ صـالـحـ يـرـيدـ الـاستـمـنـاعـ بـدـحـيـثـ مـحـفـظـ الـبـارـعـ، لـمـ عـلـمـ عـنـهـ أـنـهـ صـاحـبـ طـرـفةـ وـنـكـنةـ. لكنـ أحـدـهـمـ قـطـعـ هـذـهـ الرـغـبةـ فـيـ الـلـقاـءـ، وـلـهـ الـوحـيدـ الـذـيـ جـمـعـ عـمـلـاقـيـ الـرـوـاـيـةـ الـعـرـبـيـةـ.



رحلة الاندماج في البيئة الإنجليزية

تجربة ثانية تلك التي عاشها الطيب في بداية حياته بلندن: قلم تكن بالنسبة إليه في بداية مقامه بها سوى «رائحة مبتلة»، «رائحة الشوارع المبتلة»، رائحة الثياب المبتلة، رائحة القطارات المبتلة، رائحة البيوت المبتلة، أضف إلى ذلك رواج الطعام، القنبيط المغلي، والكرنب المغلي، والبقل المغلي، إلى أن استطاع الاندماج في هذه البيئة، مما أطّال إقامته بها، فتزوج من هذا المجتمع، لكنه رغم ذلك تحسر على عدم الزواج بسودانية، لكن، وبحسب قوله: «عندما راودتني هذه الفكرة كان الزمن قد مضى».



الكتابة من أجل الوطن .. بعيداً عن مataهات السياسة

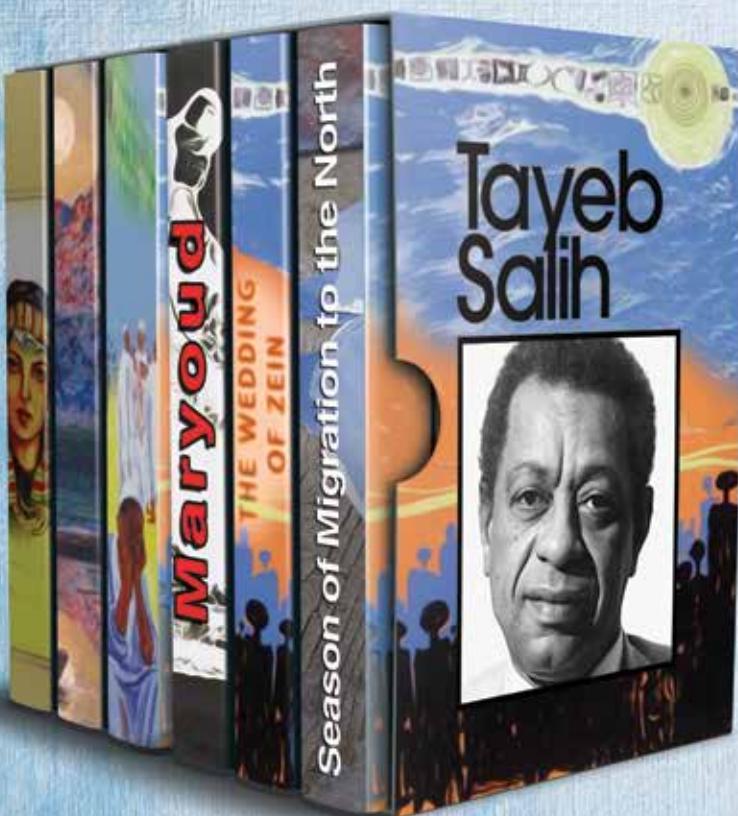
منذ المرحلة الثانوية آثر الطيب الابتعاد عن التحزيب رغم أن ذلك لم يكن في تلك الفترة أمراً سهلاً. فعندما كان يدرس في مدرسة وادي سيدنا الثانوية، كان الصراع ينحصر على أشده بين الشيوعيين والإسلاميين. وكان يحضر اجتماعاتهما في إطار حب الاستطلاع فقط. لكن ذلك لم يجعله ينزلق في مataهات السياسة. فلم يكن يشغله سوى حب السودان والولاء للأمة في صبرورتها الدائمة والمستديمة. وهو ما اعتبره التزاماً أبداً. خاصة أن آراء السياسيين من وجهة نظره تتبدل تبعاً للظروف والتقلبات السياسية. وهم يريدون من المفكر أن يتبدل معهم، وهذه مسألة متعددة.

المكان صالح

المكان ..

دلالة خاصة في أدب الطيب صالح

ظل النيل دائماً يمثل خصوصية المكان في أدب الطيب صالح، وذلك بما يحمله من بعد عميق ورسالة لها دلالات واضحة. فالنيل هو الموت والحياة، كما في «موسم الهجرة إلى الشمال»، والموت الغامض لبطل الرواية «مصطفى سعيد» ما بين الانتحار، الموت، القتل. تتعدد احتمالات الموت المتعلق بالنيل، ولكن يبقى النيل هو «المكان» بامتداده التاريخي، وهبة أهل السودان ويشكل الدلالات الفكرية في كتابات الطيب صالح. فعلاقة النيل بالموت تختزل أديه في أعماله كافة.



من السودان إلى العالمية رحلة عبقرى الأدب العربى

الطيب صالح كتب العديد من الروايات التي ترجمت إلى أكثر من ثلاثين لغة. وهي : « موسم الهجرة إلى الشمال ». و « عرس الزين ». و « مريود ». و « ضوء البيت » و « دومة ود حامد » و « منسى... إنسان نادر على طريقته ». وتعد روايته « موسم الهجرة إلى الشمال » واحدة من أفضل مئة رواية في العالم، وهو ما أهلته للحصول على العديد من الجوائز. وقد كلل الطيب منشواره الأدبي بتتويجه « عبقرى الأدب العربي ». وفي عام 2001 اعترفت الأكاديمية العربية في دمشق بأنه صاحب « الرواية العربية الأفضل في القرن العشرين ».

الطّيّب صالح

في بلاط صاحبـةـ الجـالـةـ

رغم توجه الطّيّب صالح كلياً إلى الإبداع الأدبي من خلال رواياته الشهيرة التي وصلت به إلى العالمية. فإن حياته العملية لم تخُل من إسهامات واضحة في مجال الصحافة: فقد كتب الطّيّب صالح خلال عشرة أعوام عموداً أسبوعياً في صديقة لندنية تصدر بالعربية تحت اسم «المجلة». وخلال عمله في هيئة الإذاعة البريطانية تطرق الطّيّب صالح إلى مواضيع أدبية متنوعة. هذا بالإضافة إلى أنه تنقل في الفترة التي قضاها بباريس بين مهن مختلفة. أهمها عمله ممثلاً لليونسكو في دول الخليج.



الكتاب

حمراء الطيب العنCasل بين الشرق والغرب

أعمال صالح لم تتناول موضوع العلاقة بين الشرق والغرب. بل أقامت جوازاً دكتينا مع أدب الإمبراطورية الإنجليزية الاستعمارية السابقة. ما يشير إلى أن الطيب صالح كان يريد أن يتتجنب شيئاً واحداً: أن يصبح كاتباً. ولم يدفعه في النهاية إلى الكتابة. مثلاً صرخ في أحد أحاديثه الصحفية. سوئي الحنين إلى الوطن. ما جعله يقرر العودة إلى السودان بعد 20 سنة. لأنـهـ كما يقول ببساطةـ بـلـهـ وـلـهـ الـحقـ أـنـ يـدـخـلـهـ وـلـيـخـرـجـ مـنـهـ هـتـىـ شـاءـ. فهو يقول: «هـذـاـ بـلـدـيـ وـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ أـحـرـمـ مـنـهـ. وـأـنـاـ لـاـ أـرـيدـ أـنـ أـزـعـمـ لـنـفـسـيـ دـوـرـاـ بـطـولـيـاـ. أـنـالـسـتـ سـيـاسـيـاـ. وـدـوـرـيـ مـرـتـبـتـ بالـفـكـرـ الشـيـءـ الـذـيـ لـاـ يـعـجـبـنـيـ أـقـولـ فـيـهـ هـذـاـ لـاـ يـعـجـبـنـيـ».

عصرية متعددة في ميدان الرواية العربية

تعد بدايات الطيب صالح الأدبية الفجر الجديد المشرق، وكما تولد الشمس الإفريقيبة الصريحة الناصعة، استطاع أن يعالج من خلال كتاباته المشكلات المجتمعية التي ربما يكون قد تعرض لها من قبله كثير من أدباء العرب.

كما أولت كتابات الطيب صالح اهتماماً بالغاً لقضية الهوية، مستعرضاً تلك الإشكالية التي حررت الأدباء، وهي: هل تترك هذه الشعوب ماضيها كله وتسسلم للحضارة الغربية وتذوب فيها وتقلدها تقليداً كاملاً؟ أم تعود هذه الشعوب إلى ماضيها وترفض الحضارة الغربية وتعطيها ظهرها وتذكرها إنكاراً لا رجعة فيه؟ أم تندد موقفاً ثالثاً يختلف عن الموقفين السابقين؟ وتلك هي المشكلة التي حاول الطيب صالح معالجتها من خلال كتاباته.



الموقف الحضاري في إبداع الكاتب الفنان

أول ما يلفت النظر في كتابات الطيب صالح، هو ما يمكن أن نسميه «الموقف الحضاري» للكاتب الفنان، «إذا» يستطيع أن يصل إلى هذا الموقف إلا فنان صاحب عقل كبير وقلب كبير، خاصة أن صغار الفنانين ليس لهم موقف حضاري على الإطلاق. لذلك فقد عكست روايات الطيب صالح موقفاً محدوداً واصحاً، واتضحت فكرة العودة إلى الجذور في كتاباته. فقد رأها دائماً هي البداية الصحيحة في رحلة البحث عن الذات. على أن هذه الرؤية الحضارية عند الطيب صالح ترتبط أشد الارتباط برواية إنسانية أخرى، استطاع أن يصورها وبحسدها بصورة عميقة تسمى إلى درجة عالية من التحفظ والمقدرة الفنية «الخلافة المبدعة».

تراث

هو بصيص الماضي إنارة طريق المستقبل

كان الطيب صالح يؤكد دائمًا أن أي قصيدة من القصائد الكبيرة في تراث الشعر العربي أكثر قيمة وأهمية من كل رواياته. ما يدل على أنه كان ينظر إلى التراث نظرة تتميز بالعمق الشديد، فيرى أن الماضي يشبه مرأة السيارة تنظر فيها إلى الخلف حتى تتأكد من طريقك إلى الأمام. ويرى أن التراث شيء يعيش فيما فنحن نحمله في أنفسنا. بمعنى أننا نسير والتراث يسيراً معنا. لكنه في الوقت ذاته يؤكد أنه من الجميل لو عرفنا كيف نأخذ من التراث ما نصلح به أمننا في الحاضر. خاصة أن بعض الناس يتصور أن التراث يشبه المخزن الذي نفتحه ونأخذ منه ما نشاء، لكن الحقيقة أننا في حاجة إلى التزود بتلك القيم المضيئة في التراث العربي الإسلامي والتي لا تزال إلى يومنا هذا لها مكانتها الجديدة بالتزود منها. لذلك يجب أن يستعمل التراث لتأكيد القيم الإيجابية في الأمة وليس لتفرقة الأمة.

الحرية الشخصية

مقابل حرية التفكير والإبداع

رغم أن الطيب صالح آثر الابتعاد عن السياسة في معظم حياته، فإنه أيضاً كان صاحب رأي وفکر تسبّب كثيراً من الأحيان في منعه من دخول السودان.

ومن أشهر آرائه السياسية حديثه عن الديمقراطية إذ كان يقول: «لا تصدق الذين يقولون إن الشعب غير مؤهل للديمقراطية؛ فليس هناك شعب عربي - ولا أي شعب - غير مؤهل للديمقراطية. تجد مثلاً الرجل الأمي في العالم العربي يقوم بمسؤوليات جسام في تربية أولاده وفي إصلاح حاله واتخاذ قرارات معيشية مهمة جداً. فكيف يكون هذا الإنسان غير قادر على أن يقول إن هذا يصلح أو لا يصلح نائباً في البرلمان؟ مشيراً إلى أن هذا مجرد كلام فارغ لأن قاتلته يريدون أن يستأثروا بالسلطة ويهتمون الناس بأحلام لا أساس لها في الواقع ويحجزون على الرأي. ثم لا نصل بعد ذلك إلى حلّ. فلا بد من حرية الفكر، ولا بد أن يقول كل إنسان بأمانة كيف يرى الأشياء».

خارطة أدبية

تسلل إلى التهور وترفض التهميل

كان الطيب صالح ودوداً ومتواضعاً، بل ومحفظاً، يفضل التهورين لا المبالغة في القول، لذلك فمن المؤكد أن أدب الطيب صالح لا يزال في انتظار المزيد من المتابعة والاستكشاف، وليس أدل على ذلك من عودة الكتاب الشاب العربي لقراءة أعمال الطيب صالح مرّة أخرى والاهتمام بها، بل ويقيمهون معها دوارات ثقافية من نوع خاص.

لقد اكتشف هؤلاء أن الطيب صالح كان عبقرية خاصة تكمن عبقريته في سماته الشخصية التي أكد كل من تعامل معه أنها سمات أدب مستغرق في صميم وجدان العالم، ولا تزال أعمال الطيب صالح تحظى باكتوبر من الدراسات الأكاديمية والكتب النقدية، وأي متخصص للمراحل التي مرت بها تجربة الكاتبة للطيب صالح سيلمس بسهولة أن هذا الكاتب لم يكن يرسم لنفسه يوماً المنزلة الأدبية والإبداعية التي يتربع عليها اليوم، إذ كانت الملاحم الأولى لهذه التجربة لا تتمثل بالنسبة إليه إلا هواية ولعنة أدبية استهويتها نفسه، وسجّلها إطاراً لا يغادر إسقاطاته.

أديب يحمل في أعماقه قلب ولسان حكيم

تزخر التركية الأدبية التي تركها الطيب صالح بالعديد من الأقوال التي تدل على أنه كان يحمل في أعماقه قلب ولسان حكيم، ومن أشهر هذه الأقوال التي نقلت عنه:

- الأوطان هي التي تدقق، والمهدى بحب أن يكون بقاء الوطن وليس بقاء أي حكم أو نظام.

- هل السماء لا تزال صافية فوق أرض السودان أم أنهم حجوها بالأكاذيب؟

- ابن آدم إذا مات وعنه فقة إنسان واحد فهو «كسيان».

- استعمال العنف يترك آثراً في الوجه لا تخطئه العين.

- أشباح الليل تتبعه رميم الفجر، وحمن النهار تبرد مع نسميم الليل.

- الإنسان.. هذا المخطوط القوى الصعيف الذي يخفي، يبدل جهداً يائساً ليؤكد ذاته وسط وحشة الكون.

- التجاوز الدقيق على جهتها وعلى أركان فمهما لا تقول إنها شاخت.. بل تقول إنها نضحت.

- أنا إنسان بسيط.. المتدينون يعتبرونني ماجنا، والمعربون يحسبونني متدينا.

عندما يغدر الأديب بعيداً عن الحركة الأدبية

لم يعتبر الطيب صالح نفسه جزءاً من الحركة الأدبية حتى انه قال: «لا أقترب أبداً مما يسمى بالصالونات الأدبية أو اتحادات الأدباء، فأنا شخص على الهاشم». وهذا الوضع يريحني كثيراً»، والذين يعرفون الطيب صالح يلمسون عزوفه عن الشهرة، ونقوره من التقطير والادعاء، ورغم أنه كان من الممكن أن يستغل شهرته ويقبل على إنتاج أعمال كثيرة يهوز من ورائها بشهرة أكبر وربح مادي أوفر، فإنه يرى أن الشهرة شيء رائق والتلهمية وهي لذلك لم يكتب من الإنتاج الأدبي، وكان يقول: «أنا مقل لاتي أشتغل في عمل أكسب منه، ولكن الناس ينسون أحياناً ان الكاتب يعيش في الدنيا أخطأ، فأننا أراوغ في العلاقة مع الفن لأن الفن يلتزم الحياة».

عندما تعانق اللهمّة الشعبية الصياغة الفصيحة

تميزت كتابات الطيب صالح بمسحة عرقية، استطاع أن يجسّد فيها السهل الممتنع لذلك فلا غرابة أن تجد فيها كل شيء يحتاج إليه الفن العظيم. فقد ادتفط الطيب صالح طوال الوقت بعياراته الجميلة، التي تعتمد على لغة عربية في عاية الصفاء والأنفة والشاعرية. مستخدماً لغة ناصعة مصقوله مفسولة في نهر من الفن المقدس. لغة غنية بالأصوات والظلال، مليئة بالسحنات العاطفية، بعيدة عن التديير والتبرّة.

ويرى كثير من النقاد أن موقف الطيب صالح في حواراته يقترب كثيراً من موقف نجيب محفوظ الذي يستعين بروح اللهمّة العامية ويحافظ على الصياغة الفصيحة البسيطة. لذلك تشعر وأنت تقرأ الرواية بالروح الشعبية الأصلية، دون أن تصبح في غابات لهجة محلية صعبة معقدة.

الطيب صالح .. عبقرى الرواية العربية



مُهْرِيُّ الْأَدَبِ الَّذِي لَمْ يَحْصُلْ عَلَى نُوبِلِ

تم ترشيح الطيب صالح لجائزة نوبل مرتين بعد أن دعت العديد من الأقلام العربية في أوقات مختلفة إلى ترشيحه. لذلك بعثت مجموعة من المؤسسات الثقافية في الخرطوم رسالة إلى الأكademie السويدية ترشح فيها الأديب والروائي السوداني الطيب صالح لنيل جائزة نوبل فاعمال الطيب صالح كانت تؤهله إلى نيل نوبل. خاصة مع وجود ترجمات كثيرة لها. ما يدل على عمقها وأهميتها ليس عربياً فقط وإنما عالمياً. وفي عام 2002 اختيرت رواية «موسم الهدرة» ضمن أفضل مئة رواية في التاريخ الإنساني وفق قرار اتخذته منة من كبار الكتاب الذين ينتسبون إلى 54 دولة.

وفي مارس 2007 منح الطيب صالح جائزة مانقى القاهرة للإبداع الروائي.

إلا أن الطيب صالح لا يبدو مهتماً بأمر الجائزة. فقد أشار إلى أنه لا يشغل نفسه بالجائزة، مشيراً في الوقت نفسه إلى أن في العالم عشرات الكتاب الكبار الذين يستحقون نوبل.



الغرية ..

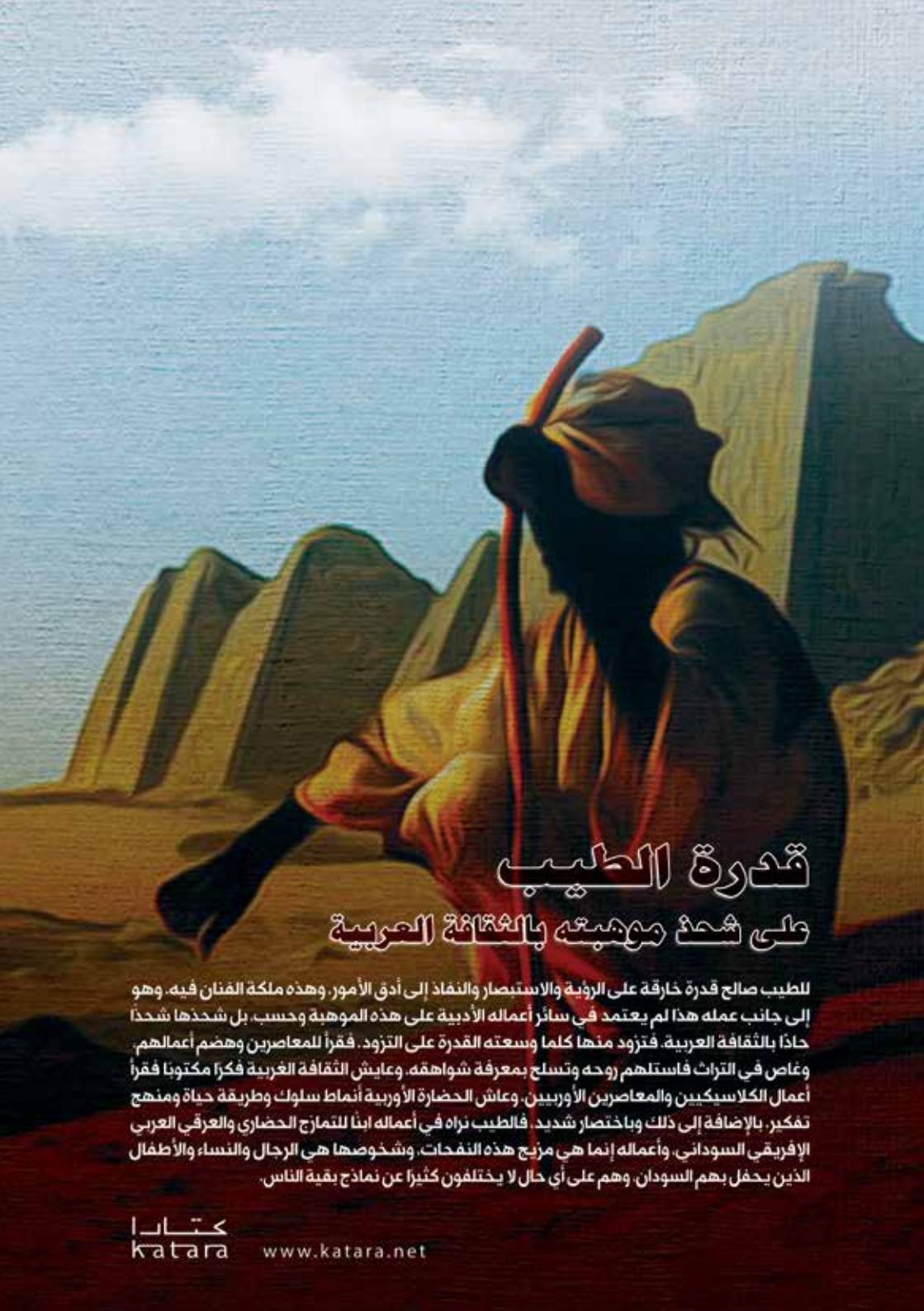
كثفت انتقامه الصادق إلى وطنه

حياة الغربة التي عاشها الطيب صالح لسنوات طويلة عمقت في ذاته هذا الانساق الحميم بينه وكثفت انتقامه الصادق إلى وطنه، خاصة بعد أن رأى تناقضات لا تماثل طبعه وذوقه في بيئات أخرى، كما أن غربته قد منحته الفرصة للنظر من بعد بغية استقراره واستجلاه، دقائق الحياة في بيته البريئة الوارفة الظلية بعطاياها الواقر ومواطنها الطيبين، لذلك ظل الطيب صالح حفنا ولصيقاً بيته قريته الواجهة الخيرة المستردية على شاطئ النيل، وهو يتمثلها في كثير من المواقف في كل أعماله الروائية.



عِرْقِيَّةُ الطَّيْبِ تَطَلُّعٌ فِي الْإِصْغَاءِ لِنَدَاءِاتِ الْحَمَانِ

اعتمد الطيب صالح أسلوبنا جمالياً يستمد عمقه من بساطة بناء المشاهد، التي تكاد تكون عملية توثيق تلقائية للحظات مركبة في الوجود الحميم للمجتمع السوداني، ممثلاً في جلسات الأنس والسهر والتعاضد الاجتماعي في المسيرات. حتى إنه عندما سُئل عن سر جمال هذا البناء، أجاب بأنه نوع من الإصغاء، لنداءات الحمان التي ينتهاها هذا العالم، والتي يعتبر نفسه مجرد وسيط وناقل لها، والحوار مع الطيب صالح لا يأخذ مداه في الأريحية والجمال إلا حين يقبس من هذه العوالم تاره. لأنه لا ينظر إلى التفاصيل في هذه الحياة بوصفها جزءاً معزولة عن بعضاها. بل هي بمذراة بنا، اجتماعي وثقافي مفتوح الأبواب والذواوف والممرات في وحدة وجود إنسانية على قاعدة الألفة.



نُكُرَةُ الطَّيْبِ

عَلَى شَهْرِ مُبَرْأَتِ الْمَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ

للطيب صالح قدرة خارقة على الرؤية والاستبصار والتفاذه إلى أدق الأمور، وهذه ملكة الفنان فيه. وهو إلى جانب عمله هذا لم يعتمد في سائر أعماله الأدبية على هذه الموهبة وحسب، بل شددها شدداً حاداً بالثقافة العربية فترزود منها كلما وسعته القدرة على التزود. فقرأ للمعاصرين وهضم أعمالهم، وغاص في التراث فاستلهم روحه وتسلح بمعرفة شواهقه. وعايش الثقافة الغربية فكرها مكتوبنا فقرأ أعمال الكلاسيكيين والمعاصرين الأوروبيين. وعاش الحضارة الأوروبية أنماطاً سلوك وطريقة حياة ومنهج تفكير. بالإضافة إلى ذلك وباختصار شديد فالطيب تراه في أعماله إينا للتمازج الحضاري والعرقي العربي الإفريقي السوداني، وأعماله إنما هي مزيج هذه النفحات. وشذوه منها هي الرجال والنساء والأطفال الذين يحفل بهم السودان. وهم على أي حال لا يختلفون كثيراً عن نماذج بقية الناس.



السؤال في عمق الحياة اليومية

مصدر إلهام الطيب

لم تكن روايات وكتابات الطيب صالح مجرد تصوّص مسرودة، ولكنها مثلت في الحقيقة مجموعة من السير الحياتية والتجارب الواقعية والمعايشات الحية التي تبرهن على امتلاكه كل الأدوات التي تحصل من قراءة أعماله نشاطاً ممتعاً، خاصة عندما يكون ذلك مصحوباً بحالة خاصة في الكتابة تستلقها من عمق متابعة الحياة اليومية. سواء التي تعاصر زمن كتابة الرواية، أم تلك التي اختزنتها في الذاكرة.

ولعل قدرته على قراءة الأحداث بعمق من أهم مصادر إلهامه الرئيسية في كتابة رواياته، ثم كان تنقله بين عدة مواقع مهنية مصدراً لاتساع خبرته بواقع العرب والأمهم وأمالهم، فقد عاش الطيب صالح في تنقل دائم بين المحيط والخليج بين المشرق والمغرب ولم يجعله كل هذا الشرق ولا كل ذلك الغرب ينسى أنه ابن جنوب الأرض، التي هاجر إلى شمالها بحنان عن الحياة الفضلى.



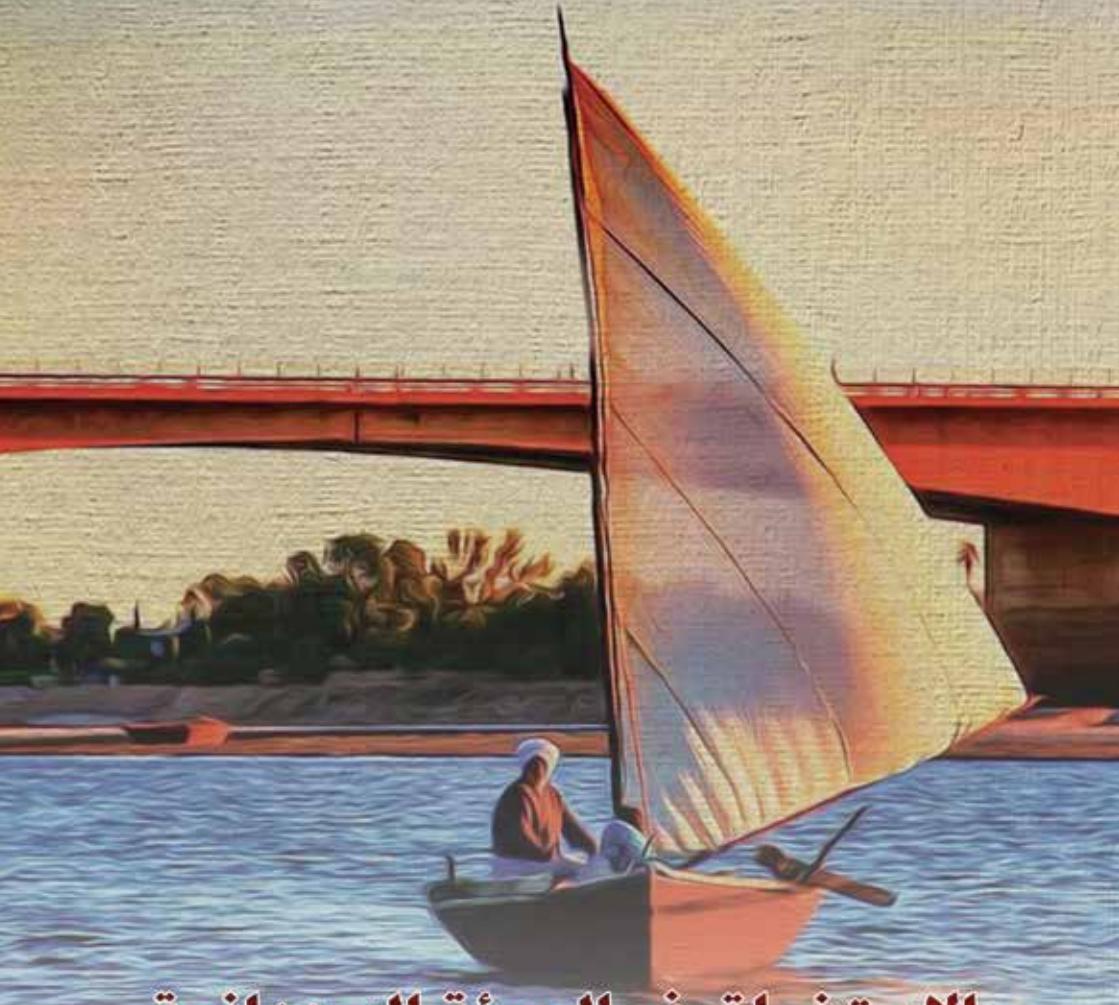
انبعاثات الأحداث في أعماله تجبر العالم على ترجمتها

يعد الطيب صالح واحداً من أكثر الروائيين العرب الذين نالت أعمالهم اهتماماً عالياً عالمياً وعربياً واسعاً، سواء عبر الترجمة إلى لغات أخرى، أم تناولها في دراسات أدبية متعددة فأعماله بعيدة كل البعد عن روتينية الصنعة الروائية، ربما لأن في إبداعاته انبعاثات للأحداث، فهي تؤدي مهمة تتجاوز الحدث، مستلهمة من الواقع حواراته الداخلية. إنه يسترسل بحرافية عالية معتمداً على روعة أسلوبه السردي، متماشياً مع أسلوب السوداني البسيط المتصرف المشبع بعيق النيل والأرض المضمة بعرق أبنائه.

وذلك كله في محاولة خالصة منه لتشخيص مرض وإيجاد علاج، من خلال أسلوب أدبي رفيع وعبارات ومعان تميل إلى الرمز حيناً، وإلى الواقعية أحياناً أخرى، مستدرجاً مشاعر القارئ وفكره للتماهي مع كتابته. فيروض لغة نصه ليجعلها عذبة عذوبة النيل، ويدقق عند اختيارها فتجد في كتاباته تصوفاً خجولاً.

شخصياته الروائية ..

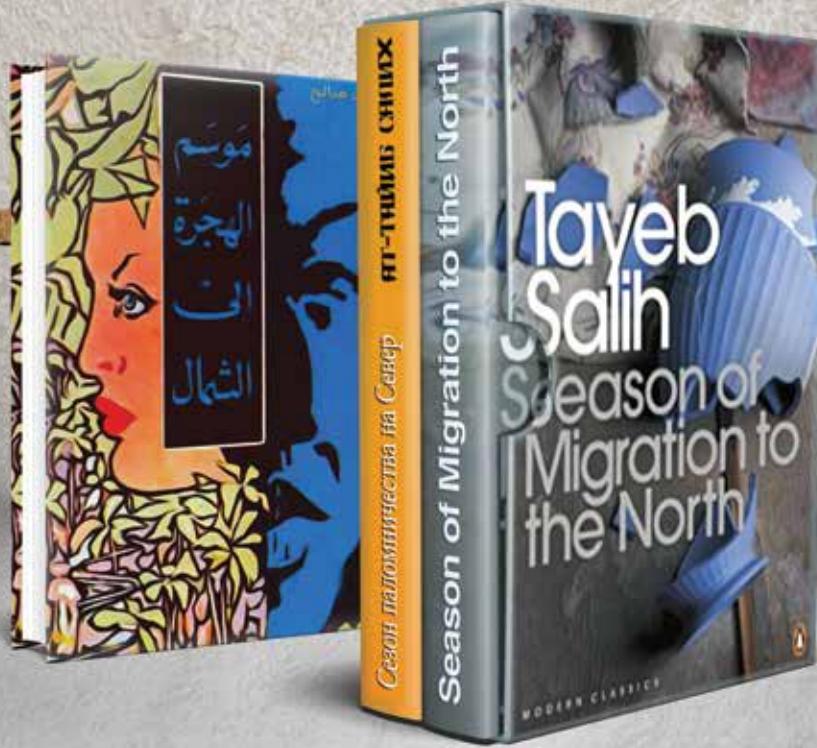
العديد من الشخصيات في روایات الطیب أصبح لها وجود حی ماثل في نفوس كثیر من القراء، وما كان ذلك إلا لقدرته المبدعة على رسمها رسماً مشيناً بالحياة والحركة؛ لأنه يرى أن الرواية عالم من تصوّره، وبصفته كاتباً فهو مسؤول عنه. أما التفاصيل فربما يكون بعضها حقيقة اعتمد فيه على الواقع استلهامه من ذكريات بعيدة للمكان الذي نشأ فيه وتلك سمة تميزت بها الكثير من الأعمال الروائية والإبداعية العربية والعالمية الناجحة. الشخصيات الطيبة الروائية ليست بالضرورة شخصيات حقيقة في الواقع المعيش، لكنها شخصيات روانية لها أصل وشبيه في الحياة، لكنها في الرواية غير هذا الأصل الحياني الواقع؛ فالروائي المبدع يعيد خلقها في الرواية ويرسمها فتاً مبدعاً بأخذ من صورة الواقع بطرف ومن رؤية الفنان وخياله بطرف آخر.



الاستغراق في البيئة السودانية

صنع مكانه المروقة

ظلت البيئة الشعبية السودانية هي المسرح الوحيد الذي اختاره الطيب صالح لتدور فيه أحداث رواياته وقصصه القصيرة. حتى إذا ما كانت الأحداث الرئيسية تدور في مكان آخر غير السودان، فإنه يستخدم هذا المكان لتوظيفه في البيئة السودانية التي يراها هي الأصل بالنسبة إلى جميع أعماله. ويرى الكثيرون أن هذا الاستغراق في البيئة الشعبية السودانية هو أهم العوامل التي ساعدت على صناعة أديب بهذه المكانة. وبعترف الطيب صالح بهذا التوجه في كتاباته، فيشير إلى أنه لم يهتم بالكتابة عن أي بيئة أخرى، إلا بشكل محدود جداً. حتى الأفكار التي يكتبهها عن البيئات الأخرى، فإنه يقوم بجلبها من بيئته السودانية.



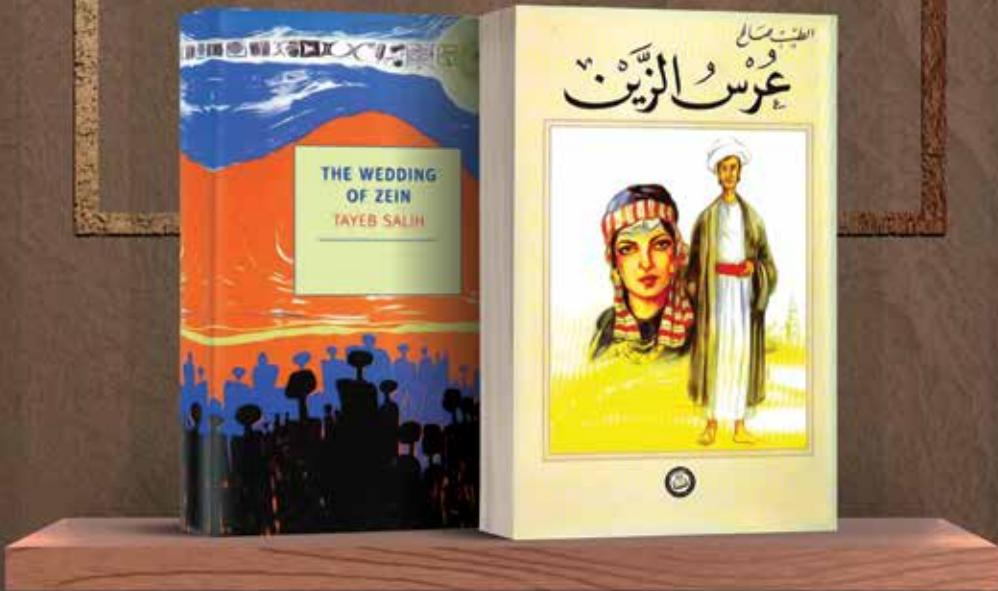
موسم الهجرة إلى الشمال

واحدة من أفضل مئة رواية في القرن العشرين

صدرت الرواية أول مرة في عام 1966، وحظيت باهتمامية بالغة لزمنها منذ نشرت كاملاً بالعدد الأول من مجلة «حوار». وقد تناولتها دراسات متعددة من جوانب مختلفة انتلاقاً من غناها الموضوعي والدالي والسياسي والفكري، الذي لا يختلف عليه دارسان، وإن اختلفا حول مدى جرأتها أو تجرئها.

وتعود «موسم الهجرة إلى الشمال» رواية قيمة جداً ترصد معاناة وتدييات الإنسان العربي المهاجر إلى بلاد أوروبية، كما بتناول الكاتب صراع الشرق والغرب في وقت الاحتلال الأوروبي إلى جانب خباب القرية السودانية الواقع على ضفة النيل، ويحترف الطيب صالح في هذه الرواية الواقع، حيث يصور تحديداً الفساد المستشري والعنصرية إلى جانب الانحلال الأخلاقي بتصاوير مؤلمة، وبعزم القاري يدرك من يلده بلغة جملة بالرموز، وحين يأخذ الكاتب القاري فإنه يتنقل به زمنياً من مرحلة إلى أخرى بكل ببرقية، فحياناً تجد نفسك بين البساطة والحياة الفرودية، وأحياناً في أوروبا مع «مصطفى سعيد» والحدث عن مغامراته.

صنفت الرواية ضمن أفضل مئة رواية في القرن العشرين، وحظيت بإعجاب شديد من قبل القراء والنقاد، وقد تحولت إلى فيلم سينمائي، وتترجمت إلى اللغتين الروسية والإنجليزية.



عرس الزين .. مُفاجآت من أعماق المجتمع السوداني

تدور أحداث هذه الرواية حول شاب مبروك أو درويش يدعى «الزين». يعيش في قرية سودانية وكان ي يريد الزواج بابنة عممه «نعمه». وهي رائعة الجمال، أما هو فمظاهره قبيح إلى حد ما. ولهذا السبب يستغرب أهالي القرية هذا الزواج. وقد تميز «الزين» باختياراته الدائمة لحب الفتيات الجميلات رغم فحنه وتدور الأحداث في قالب تشويقي ومفاجآت عدّة حول هذه الشخصية المركبة والغريبة. ولا سيما في النهايات، حيث نجد «الزين» يحاول قتل شخص كان قد اعتدى عليه سابقاً. وهناك أيضاً عنصر مفاجأة حيث يختلي «الزين» في ليلة عرسه بين المقابر. الرواية حازت على إعجاب القراء بشكل كبير، وتعدّ من أكثر الروايات تحميلاً من مواقع الإنترنت.



دومة ود حامد

مزاعم الكرامات في وجه التطهير

واحدة من مجموعة قصصية جمعها الطيب في كتاب يحمل اسمها «دومة ود حامد» يضم معها سبع قصص قصيرة أخرى، وهي تتحكي قصة قرية يومن أهلها بما أسموه «دومة ود حامد» وهو رجل صالح مدفون هناك، حيث يعتقد أهل القرية بأهمية كراماته، وبراه الفرويون في أحلامهم ويقطنهم، لدرجة أن يبلغ بهم الإيمان به مبلغًا يجعلهم يقرون في وجه الحكومة حين حاولت قطع الدوامة وإنشاء المشروع الزراعي لتطوير القرية، وعلى لسان الراوي، يقول الراحل الطيب صالح: «وهكذا يا بني ما من رجل أو امرأة أو طفل أو شيخ يحلم في ليلة إلا ويرى دومة ود حامد في موضع ما من حلمه»، ويحاول صالح من خلال هذه القصة إظهار تمسك المجتمع السوداني بكرامات الأولياء وإيمانه بها.

نخلة على الجدول . .

حكايات من قلبتراث السوداني

هي قصة تأتي ضمن المجموعة القصصية «دومة و د حامد » وتنجلي فيها النزعة الدينية في كتابات الطيب صالح، إذ تلقى الضوء على شخصية الفرد الريفي البسيط الذي يتوكّل على الله حتى يأتي الفرج. ونطرح هذه القصة واقع السودان، وبيع مخصوص التمر واعتبار نخلة «الأساسف» هي الأكثر حملاً للتمار، وفي ظل هذا الواقع عاش الشيخ محجوب فقيراً، وتدوّل إلى غني بعد زواجه، ورث فتاة اسمها «آمنة» لكن قدمه الحافف غير من طبيعة الحياة ومن طبيعة المخصوص. ووجد الشيخ نفسه في أزمة والعبد مشرف على القدومن، لكن وصول ابن الشيخ في آخر لحظة سيغير من طبيعة الأزمة ليعدّد الفرج إلى قلب الآباء العذرين الذي سيحصل على دروس العبد.

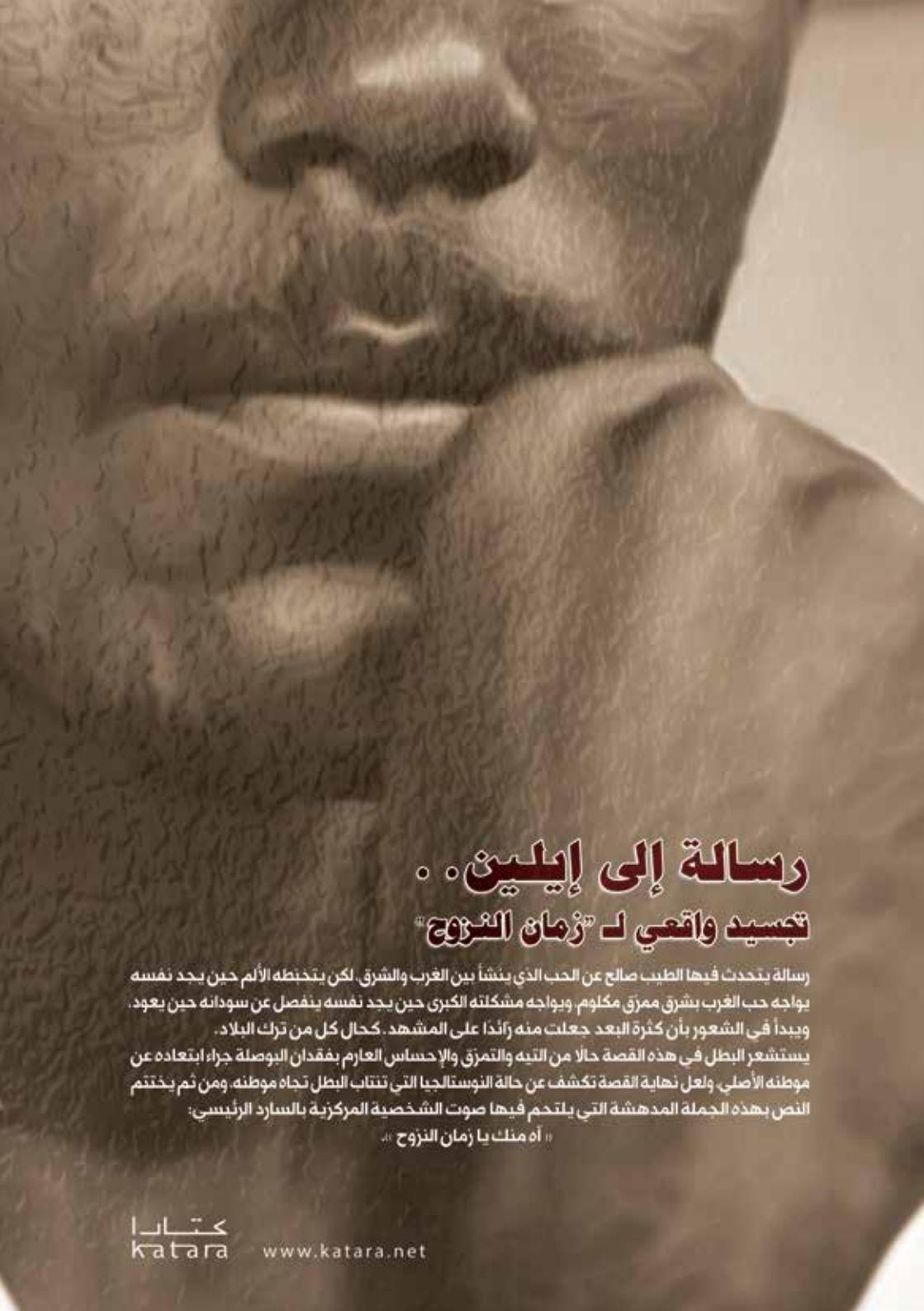
يعرض الطيب صالح في قصته «نخلة على الجدول» عدداً من العادات والتقاليد التي تميز البيئة السودانية مثل الاستعداد للعيد (عبد الأضحي أو ذبح الأضحية وشراء الملابس الجديدة والتوجه إلى المسجد لأداء الصلاة وكل ما يتعلّق بالعرس والاستعداد له مثل لبس حريرة العرس والتمسح بالدلّكة ووضع الضربرة على الرأس والأغاني والأهارنج.



حَمْنَةٌ تَمْرٌ ..

عِنْدَمَا يَتَّهَبُ الصَّرَاعُ بَيْنَ الْكَبَّالَاتِ

تدور أحداث هذه القصة حول ولد صغير يقضى معظم طفولته مع جده، الذي كان يرتبط به وبجده حنا عظيمًا. ويتناول الطبيب صالح القصة بطريقة مديدة مختلفة أخادة، خاصة فيما يتعلق بتحول هذا الولد الذكي، المحب لحذة من حبه لنذهإلى زراع بين كرهه وحبه مسعود، ذلك السوداني الذي خسر أرضه من جراء ركضه وراء الزواج. لكن طريقة جده في الكلام عن مسعود، جعلت الولد يتعاطف معه ويبعد النظر إلى جده بطريقة أخرى. تتعاظم القصة وتصل إلى نقطتها القصوى يوم توزيع التمر على كل الموجودين في حين يخرج مسعود دون أي تمر من تخيل أرضه. فيركلن الولد كارها جده، ويتقينا التمر الذي احس أنه سيظلم مسعوداً، مثل جده، لو أكله.



رسالة إلى إيلين ° °

تبسيد واقعي لـ "زمان النزوح"

رسالة يتحدث فيها الطيب صالح عن الحب الذي ينشأ بين الغرب والشرق، لكن يتخبطه الألم حين يجد نفسه يواجه حب الغرب بشرق ممزق مكالم ويواجه مشكلاته الكبرى حين يجد نفسه ينفصل عن سودانه حين يعود، ويببدأ في الشعور بأن كثرة البعد جعلت منه رائدا على المشهد، كحال كل من ترك البلاد.

يستشعر البطل في هذه القصة حالاً من التيه والتمزق والإحساس العارم بفقدان البوصلة جراء ابعاده عن موطنها الأصلي، ولعل نهاية القصة تكشف عن حالة الوستاليجيا التي تنتاب البطل تجاه موطنه، ومن ثم يختتم النص بهذه الجملة المدهشة التي يلتحم فيها صوت الشخصية المركبة بالسارد الرئيسي:

«أه منك يا زمان النزوح»

إذا جاءت ..

حالة من الانفصال الاجتماعي البائس

يوظف الطيب صالح في قصته «إذا جاءت» الضمير المستتر في «جاءت» - والذي يعد فاعلاً من الوجهة النحوية - ليشير إلى تلك الفتاة السويدية التي ينتظركها «بهاء» ليقضي ليلته معها. وبهاء أحد الشركاء الثلاثة في «المكتب العالمي لفنون السياحة» مع صديقه «أمين» و«سناء»، غير أن هذا «المكتب السياحي» لم يجد قبولاً في ظل واقع اجتماعي ضاغط. لا تتنمي هذه المظاهر الحديثة لواقعه الفعلى واحتياجاته الحقيقة. وهذا ما يوقدنا الكاتب أمامه ببراعة شديدة. ولذا فثمة حالة من الارتباط تسيطر على أبطال القصة (بهاء، سناء، أمين) دفعتهم إلى مراجعة موقفهم من هذا الكيان. وفي هذا التضاد يارع بمعالجة القضايا الاجتماعية في قالب أدبي مشوق.



هكذا يا سادتي .. مراة الاغتراب في حل ضيف الشرف

يشير العنوان إلى جملة مجرأة من السياق السردي في نهاية القصة التي تحكي عن ذلك المفترض الذي لا تنتظم علاقته بالأذر، ولا يستطيع استساغته بوصفه أجمل بلد في العالم .. ومن ثم فهو دائم المراجعة لعلاقته معه، وهذا ما يدفعه إلى الجهر برائيه في نهاية الحفلة المدعوه إليها، والتي علم فيما بعد أنه لم يكن ضيف شرفها الوحيد: «أقمت هنا شهراً قبل اليوم، سرقوني في الفندق. أقمت هنا شهراً قبل اليوم، عرض علي رجل ابنته فبصقت في وجهه دعوني إلى العشاء، ودفعت أنا الثمن ..»

ثمة فتنان تلوحان في الأفق في قصة «هكذا يا سادتي .. تختلط عبرهما الحقيقة بالحلم، غير أنهما تبيّنان علامة دالة على إمكانية محاورة أسر الواقع الضاغط بفعل الاغتراب والوحشة.

الطيب صالح

مختارات

١
مقدّمات



مقدّمات .. حالات إنسانية تجمعها الأجواء العامة

تتشكل القصة من سبعة نصوص، في شكل مقاطع قصيرة، يصلح كل نص منها لأن يكون قصة قائمة ومستقلة بذاتها، حيث يطرح كل منها حالة إنسانية منفصلة، حاملاً عنواناً داخلياً خاصاً (أغنية حب - خطوة للأمام - لك حتى الممات - الاختبار - سوران وعلي...)، غير أنها تتلاقى جميعها في الأجواء العامة (البدايات التي لم تكتمل)، وكانتنا وباختصار أمام «مقدّمات» - كما في العنوان الدال للقصة - لم تفصل إلى تنازع وهذا ما نشير إليه المقاطع الخمسة داخل القصة، ففي «أغنية حب» رغم حالة التلاقي بين البطل والفنانة الغربية وتشجيعها المتواصل له على الغناء، فإنها تتركه في النهاية.

ضَوْ الْبَيْت

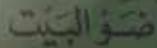
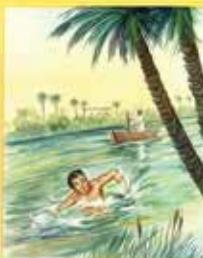
فَلَرَسِه



”ضَوْ الْبَيْت“

إِنْسَاجُ الْحَالِ لِلشَّابِ مَعْصَلَةُ اِجْتِمَاعِيَّةٍ

في هذه الرواية القصيرة -كما هو الحال بالنسبة إلى روايات الطيب صالح- يدوس الكاتب في أكثر من بعد سياسي وأخلاقي، فأسلوبه يشد القارئ من أول كلمة لاً رد كلامه في رواية ”ضَوْ الْبَيْت“، كما هو في ”عرس الزين“؛ موسم الهجرة إلى الشمال، والتزاييف والانتقال المستمر من منطقة لأخرى زمنياً ومكانياً. وحادثة القصر والبكاء في الجامع وقت صلاة الفجر، وصوت المؤذن ”سعدي“ الذي اختلف في ذلك الأذان فخذب الجميع في الجامع ما يتطلب من القارئ المزيد من التركيز. أما المفكرة القائمة، فهي ودوب تحني الكبار العجوزة عن الحكم وتترك المجال للشباب أصداب الهمة، متخدّةً من القرية صورة مصغرّة لحال المجتمعات العربية التي يحكمها عجوز في أغلب الأحيان، أو مجرد فكرة الإطالة في الحكم وعدم ترك المجال لغير ليس في الرئاسة فحسب وإنما في الوظائف التي تليها كالبنية وزراعة الورازات، وحتى عندما تولى ”أولاد النكري“ الشباب الحكم بعد إراحة ”مجدوب“، لم يفلدوا هم أيضاً في النهوض بالقرية وتلتفت الرواية إلى أن هذه المعصّلة ليست مقتصرة على المجال السياسي فحسب، وإنما تعاني منها حتى على صعيد الجامع، المؤذن صاحب الصوت السيني، الخطيب الذي هنالك من هو أكفاء منه ليكون في مكانه.

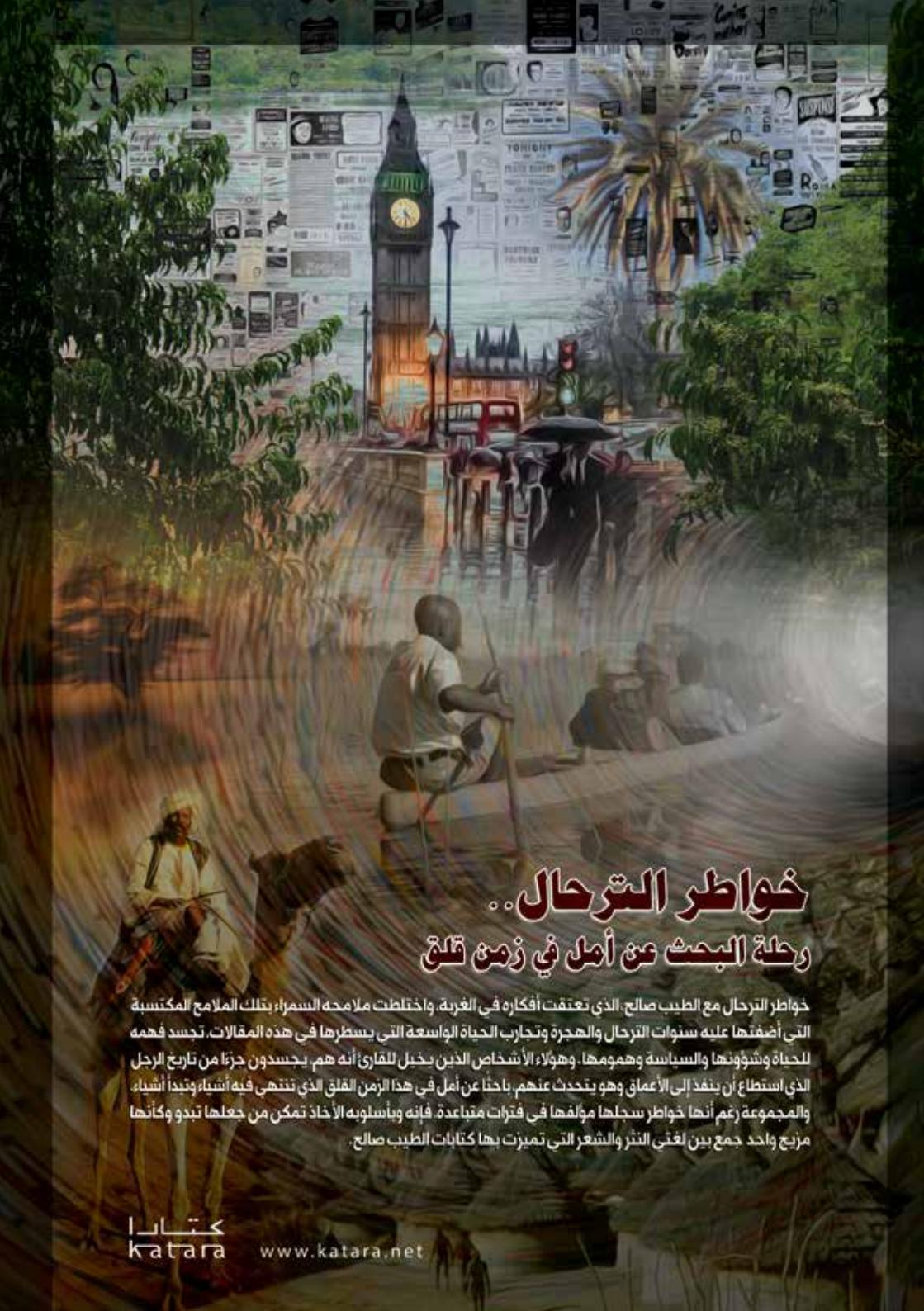
The background of the entire page is a dramatic, cloudy sky at dusk or dawn, with large white clouds against a dark blue or orange-hued sky.
ضوء البيت**مَرِيُود****عُرْسُ الزَّيْن**

مرِيُود ..

مقارنة بين حب مريم وحياة صوفى امتلاً قلبه بالإيمان

ربما تتشكل «ميريود» مع «ضوء البيت» و«عرس الزين» ملحمة أدبية تقترب من حرافيش نجيب محفوظ و«ميريود» قصة قصيرة تحمل معاني عميقية صاغ الطيب مفرداها بأسلوب متقن وجميل يأخذك إلى قلب الحدث لتعيش تفاصيل الحكاية وكأنك ضمن شذوتها.

يتأرجح الطيب صالح بين الطفولة والشيخوخة، بين الحب والفارق، بين الحرية والعبودية، بين الماضي والحاضر، ويعرض في أثناء ذلك قضيّاً عشق، واحدة إلهية متمثلة في المتصوف «ملا»، وشيخه «نصر الله» وحب «نصر الله» وحب بعيد عن حاجات الدنيا ولذاتها، حب منصرف من المحسوس المرئي إلى إلا محسوس، حب شيخ للتلميذه وتلميذ لشيخه، وكلاهما متحابان في الله، أما الأخرى فهي حب «ميريود» لمريم، وهو حب أهل الدنيا عامة، وكانت نهاية قصتي العشق هي الفراق بالموت، ولكن مع تمايز رد الفعل في كلتا الحالين.



خواطر الترحال ..

رحلة البحث عن أمل في زمن قلق

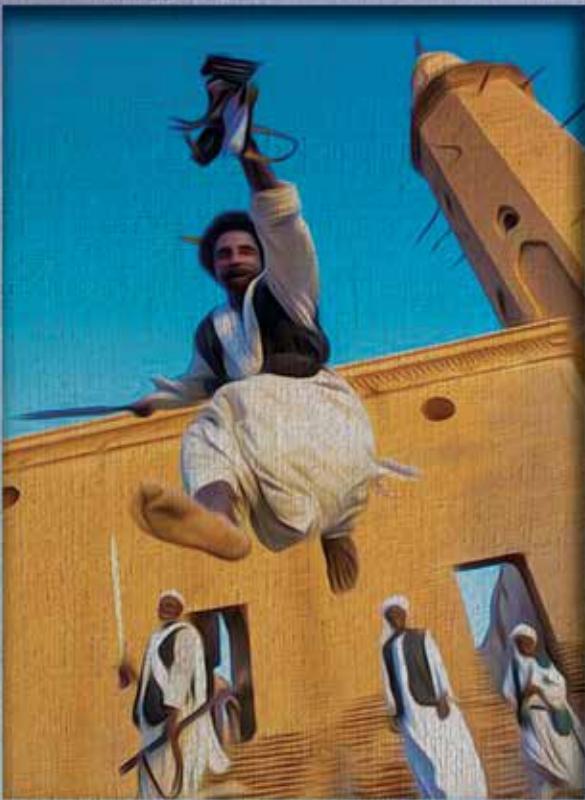
خواطر الترحال مع الطيب صالح، الذي تعانقها أفكاره في الغربة، واحتاطت ملامحه السمرة، بتلك الملامح المكتسبة التي أضفتها عليه سنوات الترحال والهجرة وتجارب الحياة الواسعة التي يسطرها في هذه المقالات، تجسد فهمه للحياة وشجونها والسياسة وهمومها، وهو لاء الأشخاص الذين يخيل للقارئ أنه هم، يحسدون جزءاً من تاريخ الرجل الذي استطاع أن ينفذ إلى الأعماق وهو يتحدث عنهم، ناحياً عن أهل في هذا الزمن الفلق الذي تنتهي فيه أسنانه وتتدأ أشياء والمجموعة رغم أنها خواطر سجلها مؤلفها في فترات متباعدة، فإنه وبأسلوبه الأذاد تمكّن من جعلها تبدو وكأنها مزيج واحد جمع بين لغتي النثر والشعر التي تميّز بها كتابات الطيب صالح.



منسي.. إنسان نادر على طريقته

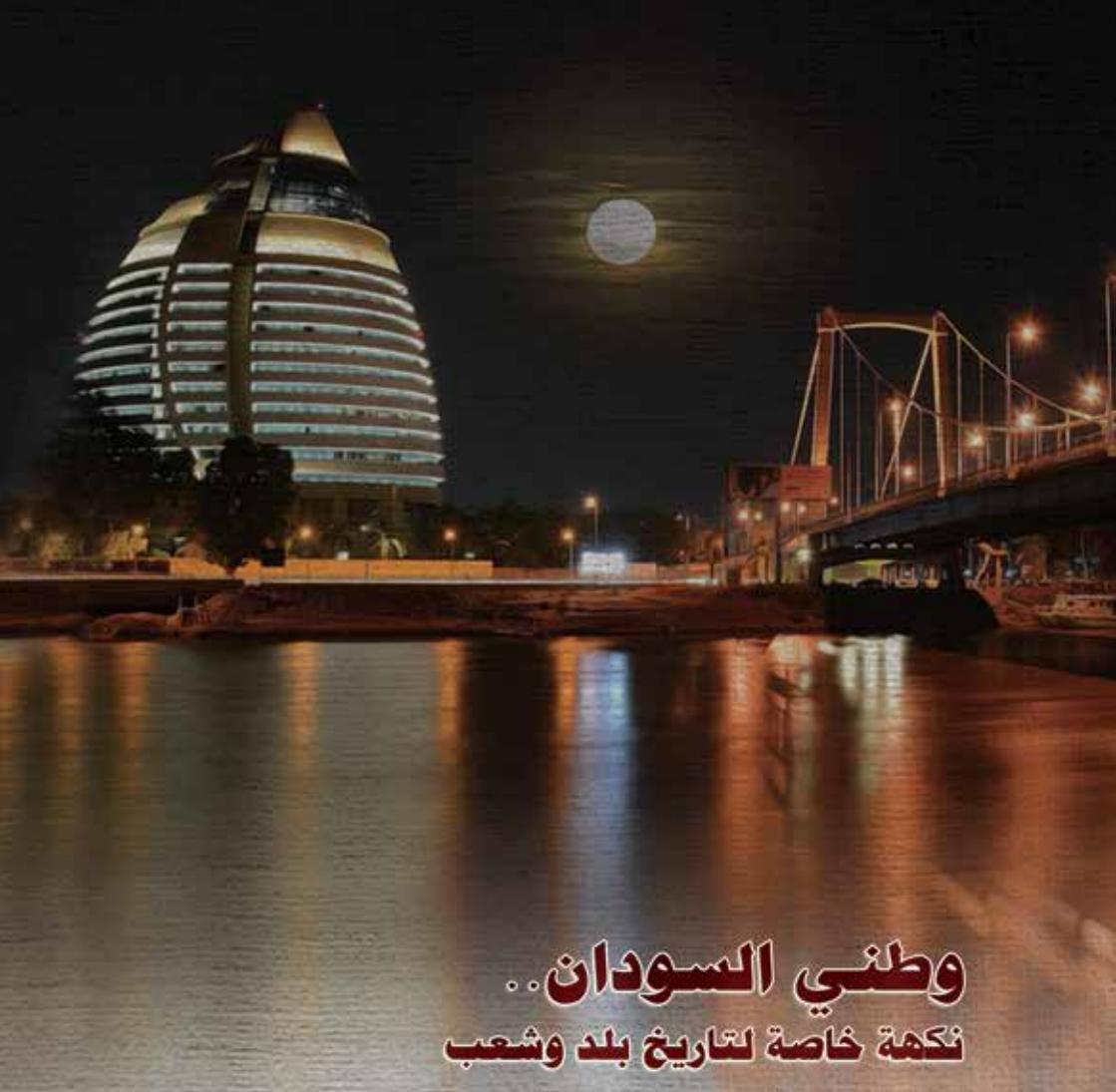
سيرة روائية كتبها الطيب صالح

هذه الرواية من نوعية السير الروائية أو رواية السيرة الذاتية، فقد خذل فيها الطيب صالح صديقه «منسي» بسرد قصة حياته على شكل رواية وهذا النوع من الروايات ليس فيه خيال في الأحداث، بل هناك خيال مقييد في الوصف، كالبالغة في الوصف والتشبيهات مثلاً أو ربما في بعض الأحداث الهامشية المهم أن كل ما فيها هو حقيقة تامة، وقد أكد ذلك الطيب صالح في مقابلة تلفزيونية معه، وتدور أحداثها حول «منسي» الذي كان مسيحيًا وأسلام، وكان فقيراً وأصبح مليونيراً، وتزوج بحفيدها السير توماس مور، وكان صديقاً للكاتب الشهير صاموئيل بكت، الرواية تعد من أفضل روايات الكاتب، وشخصية «منسي» تم تناولها في العديد من الأفلام والمسلسلات العربية وهي شخصية لا تهتم بشيء ولا تبكي على شيء، ولا تبالي بشيء، ورغم هذا يخالفها الحظ دائمًا.



مختارات في رحاب الجنادرية وأصيلة مزيج بين الذكريات والرؤى والأفكار

كعادته دائمًا في مختاراته يرحل بنا الطيب صالح إلى عوالمه الحدايد التي الفها وشكلت جزءاً من تاريخ حياته، وهنا في رحاب الجنادرية وأصيلة تمتزج الذكريات بالمواقف والرؤى والأفكار التي صاغتها عبقرية هذا الكاتب الذي نتمكن من جمع كل الأشياء المترفرفة والمتناهية أحياها في كل منسجم، وفي هذه المناسبات التي جمعته بعده غير من الأدياء والمفكرين العرب والعالميين، كانت للكاتب بعض المواقف القديدة المنميرية للشعر والأدب العربي بشكل عام، أوضح من خلالها عن الهموم التي تشغّل المفكرين العرب، ودعا فيها إلى امتزاج الثقافات والأخذ بالحدث مع عدم النأي بالثقافة العربية عن مصادرها في التراث العربي.



وطني السودان ..

نكمة خاصة لتاريخ بلد وشعب

هل هي رحلة في التاريخ أم في المCAFيا؟ أم هي خليط من كل ذلك، مضاف إليه نكهة خاصة بضميفها الكاتب على موضوعاته وبحملها أسلوبه الفني الرائع؟ « وطني السودان » مختصر لكنه غني بتاريخ بلد وشعب يمثله الرجال الطيبون، الذين أهداهم المؤلف كتابه هذا، يرسم المؤلف لوحة، أي لوحة، فالانتماء إلى هذا الوطن البعيد المنال، كما يقول المؤلف، أمر عسيرة، أن تنتهي إلى هذا الوطن البعيد المنال، ذلك أمر عسيرة، أن تكون سمعت زغاريد النساء، في الأعراس، وأرابت انعكاسات الضوء، على وجه النيل وقت الشروق ووقت الغروب، والكاتب يدين الطواهر السلبية في المجتمع السوداني، إذ حيل بين عدد كبير من الرجال والنساء، وبين خدمة وطنهم وهم في ذروة العمر، فهناك ضباط في الجيش قتلوا، أو سخنوا، أو أحياناً للتفقاعة، وأضطرر عدد هائل من أساتذة الجامعات إلى الهجرة شرقاً وغرباً، والسبب في كل ذلك هو: الرزume، النجابة، الأدكية، الأغبياء، الذين يتوهمن أن إرادة الله قد اختارتهم ليكتبوا الصيغة النهائية في سفر التكؤين .. « وطني السودان » يطرح هموم وطن شغف الجميع حباً لأنهم وجدوا فيه وفي أهلة ذلك النشء النادر.



ذكريات المواسم .. حكايات تتجاوز المكان والزمان

تأتي ذكريات مواسم الطيب صالح شفافة في معانيها وسلسة في أسلوبها ومتبدلة في حكايتها وعميقة في أبعادها. يقول الطيب صالح في «ذكريات المواسم»: لي صديق أردني فلسطيني أراه من الصالحين وأرجو أن يكون كذلك إن شاء الله. نطيب لي صحبته وأجد فيها منعة وفائدة. داره صغيرة بسيطة في ضاحية من ضواحي عمان عامرة بالكتب العربية والإنجليزية، والرافد ملأى بكتب الحديث والفقه وتفسير القرآن الكريم. أسعدني كل ذلك: الضاحية لأنها على ربوة مختصرة تطل على أودية من هنا وهناك، الهواء المنعش العليل الذي تمنع به خلفاء بني مروان. بساطة الدار ليس فيها شيء زائد عن الحاجة. وعلى هذا النحو حكايات الطيب صالح من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان.

الرجل القبرصي .. تأملات عميقه في فكرة الموت

في قصة الرجل القبرصي للطيب صالح نجد تأملا عميقا في فكرة الموت ومفهومه، وفكرة تناطب الأرواح وتواصلها، فيبطل القصة - وهو راويها - بتزه سائحا في نقوسيا عاصمة قبرص، فيلتقي شخصا غامضا هو رجل قبرصي عمره جاوز السبعين في أحد الشواطئ، والرجل مع تقدم سنه مفتون بالحياة واللهو والنساء، وهو ثري، يقول إنه اشتغل كالعبد وكوبن ثروة والآن يقضي وقته كله في الفراش، قاتلا ضمن فلسفته التي يبشر بها: «المراة تطيل العمر» يحب أن يبدو الرجل أصغر من سنه بعشرين سنة.. فيسأل الراوي: «هل تندع الموت؟» فيرد: «ما هو الموت؟ شخص يلقال صدفة، يجلس معك، كما تجلس الآن، ويتبسط معك في الحديث، ربما عن الطقوس أو النساء، أو أسعار الأسهم في سوق المال، ثم يوصلك بذلة إلى الباب، يفتح الباب ويشير إليك أن تخرج، بعد ذلك لا تعلم»..

القصة بما فيها من أحداث عبارة عن حوار مع الموت يتساب بشجن غريب ويدركنا بحوارات أخرى في أدب الطيب صالح مع الموت.



الطيب صالح

مشروع إصلاحي عميق

تميز الطيب صالح بأنه كان صاحب رؤية عميقة جعلته يحكم على الأمور من خلال نظرته إلى ما وراء الأشياء، فقد كان يرى أن الإنسان عاش زمناً ينتهي من خيرات الأرض بلا حساب، ما تسبب في إرباك التوازن واختلال النظام، فقد كان الإنسان دائماً هو المعتدي، ووصل عدوانه الدروة بعد الحرب العالمية الثانية؛ إذ رأى أنه قد عزّته الاكتشافات العلمية المتلاحقة التي أحررها، وبدلًا من أن يستغلها في تحسين حياته، أخذ ينتهك حرمة الأشياء، وأحدًا تلو الآخر، هذه النظرة الرقيقة من قبل الطيب صالح تنم عن إنسانية نادرة وسمو أخلاقي ومشروع إصلاحي ترجمته من خلال أعماله الأدبية كافة.

